6

صحيح البخاري (٨)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم– وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اليوم إن شاء الله نستكمل ما كنَّا قد بدأناه في اللقاءات السابقة من شرح مختصر كتاب العلم (صحيح البخاري).

بَابُ: مَا ذُكِرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى a فِي البَحْرِ إِلَى الخَضِرِ.

عُقِدَ الباب ابتداءً للترغيب في طلب العلم، فقد ذكر الإمام: موسى عليه السلام وكيف أنه تحمَّل المشقة والصعوبات في طلب العلم، والواجب على الإنسان أن يطلب العلم ولا يتوانى في ذلك مهما كانت الأسباب التي تمنعه أو تُعيقه أثناء سعيه في هذا الطلب، فالشخص الصادق الذي علم قيمة العلم وفضله وأنه لا يصل إلى الدرجات العُلا في الجنة إلا بالعلم فإنه سيسعى يقيناً في طلبه.

نحن لدينا أبواب كثيرة جدًا يمكن أن يدخُل بها الإنسان الجنة (الصدقة الصيام_الصلاة_خدمة المسلمين_إطعام الطعام_كفالة أيتام) ولكن أعلى باب يرفع صاحبه درجات هو تحصِّيل العلم.
فقد يسعى شخص في أبواب خير كثيرة ويُسارع هنا وهناك فيكتسب الحسنات الكثيرة وبالرغم من ذلك فإن طالب العلم أعلى درجة منه عند الله.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)}[المجادلة]

الساعي في أبواب الخير ينال الثواب العظيم والخير الكثير ومع ذلك فإن طالب العلم العامل المخلص أعلى درجة من سابقه، وهذا هو فضل العلم الذي يزهد فيه الكثير من المسلمين.

فاليوم عندما نتحدث عن دورة علمية تتناول شرح صحيح البخاري أو غير ذلك من الكتب التي تتضمن مادة علمية نرى أن الإقبال عليها ضعيف والكثير لا يريد إلا سماع دروس الرقائق ولا يرغبون في العلم، مَنْ يفعل ذلك سيظل في ظلمات الجهل لأن دروس الرقائق لا تعطي علم، وبالتالي فإنهم لا يعرفون شيء عن حديث رسول الله ص_علوم القرآن_ الفقه_ التفسير، كل الدروس الموجودة على الساحة لا تعطي علماً يرفع صاحبه درجات ولكنها تُزيل بعض الجهل عن الناس (كيف يصلي_كيف يصوم_ يسمع كلمتين فيبتعد عن الغيبة والنميمة) هذا ليس علمًا ولكنها قشور القشور التي تُقال للمسلمين حتى يفيقوا مما هم فيه معاصي، في حين أن العلم مشقة وتعب ومواظبة وجُهد مستمر لا ينقطع حتى يصل إلى تحرير المسائل وحقيقتها وكيف جاء هذا الدين من عند الله.

الإشكال: أنه بهذه الطريقة لن نصل لأن انعدام العلم وانعدام الفهم يؤدي إلى عدم إتقان العمل وكذا العبادة ولن يكون الخوف من الله على الوجه الصحيح وبالتالي يكون من السهل الوقوع في المعاصي والذنوب على اختلاف أشكالها وألوانها والمصيبة الأكبر أنها تقع من بعض أهل الالتزام أنفسهم فما هو السبب؟ السبب هو الافتقار إلى العلم، ففي الظاهر هو يتنقل من مجلس علم إلى آخر ومن درس لدرس ويحفظ القرآن ولكنه

بعيد عن العلم تمامًا، هو يمكن أن يكون لديه ثقافة دينية ولكن علم لا يوجد، العلم في تحصيله يحتاج إلى الصبر والمشقة وهما من الأشياء التي تحملها موسى عليه السلام في سبيل الوصول إليه وهو مما يُغتبط به ولهذا بوب الإمام بابًا يحمل عنوان **(الاغتباط في العلم)**.

فالإنسان ينبغي عليه أن يحسد(الحسد المحمود) كل شخص لديه علم لأنه يود أن يكون مثله، حتى لو لم يكن هذا الشخص موجود أمامه، بل يجب عليه أن يقرأ في سيَّر السلف الصالح فيغبطهم على ما كانوا عليه من علم، فيتساءل كيف وصل هؤلاء إلى هذه الدرجات من العلم.

انظروا إلى موسى عليه السلام كيف تحمل المشقة والتعب مع أنه مَن هو؟ فهو رسول الله، ولم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب الفضيلة والكمال حتى قاسى تعب البر وركوب البحر في طلب العلم، عنوان الباب لم يُقصد به الإمام: ذهاب موسى عليه السلام في البحر لأنه لم يذهب لطلب الخضر في البحر ولكنه ذهب في البر، وإنما المقصود هو الإشارة إلى مدى تحمُل موسى عليه السلام للمشقة والتعب في طلب العلم.

قال تعالى:{ **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)**}[الكهف]

إذن فقد كانا يسيران في البر ثم بعد ذلك ركب موسى مع الخضر السفينة

فما هو السبب الذي دفع موسى عليه السلام كي يذهب إلى الخضر ليطلب منه العلم ؟ ولماذا الخضر؟

أولًا: جماهير علماء أهل السنة : الخضر نبي لا جدال في ذلك.

الصوفية: لا يقرون أنه نبي فلماذا؟

ليُلبسون الأمر على المسلمين ويُثبتون ادعائهم في أن الولي أفضل من النبي(هذه مأساة وعقول ضالة).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: نَعَمْ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ يَقُولُ: " **بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَتَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لاَ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَّبِعُ أَثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)**، قَالَ مُوسَى: **(ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)**، **فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ** " أخرجه البخاري(٧٨).

لقد وقف موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل، فسأله رجل :هل تعلم أحد أعلم منك؟ فقال عليه السلام: (لا).

فأوحى الله عز وجل لموسى عليه السلام أن هناك مَن هو أعلم منك فاذهب إليه في مكان كذا وأعطى له إشارة أو علامة لتدله على المكان فامتثل لأمر الله سبحانه ليطلب منه أن يعلمه مما علمه الله عز وجل.

استطراد: هل يستطيع الشيطان أن يجعل الإنسان ينسى؟

قال تعالى: { قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)}[الكهف].

نعم : يستطيع الشيطان أن يُنسي العبد من باب الوساوس وليس من باب أنه له سلطان عليه إلى جانب أن كل شيءٍ بقدر الله عز وجل والدليل على ذلك هو قول الله تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)}[الأنعام].

قال تعالى: { اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)}[المجادلة].

إذن النسيان يكون من قبيل الوساوس كما يوسوس للإنسان ليحضه على القيام بذنب أو التثبيط عن القيام بطاعة، وكل ذلك يذهب بحسن التوكل على الله سبحانه.

فوائد قصة موسى والخضر عليهما السلام (الحديث):

١- جواز التماري في العلم إذا كان كل واحد يطلب الحق ولم يكن تعنتًا.

فهل يجوز المماراة في العلم ؟ نعم.

يجوز المماراة في المسائل العلمية شرط أن لا تكون هذه المماراة انتصارًا للنفس وأن لا تؤدي إلى العصبية ولا إلى شحناء أو بغضاء بين النفوس، هنا يجوز أن تحدُث المماراة بين الاثنين، ولكن هناك فرق بين المماراة التي تحدث بين الأقران أو الأنداد وبين المماراة التي تكون بين الطالب والمعلِّم، وتلك هي الإشكالية التي يقع فيها طُلاب العلم، ففرق بين أن يجلس طالبي علم يتجادلان في مسألة علمية بالضوابط التي سبق أن ذكرناها من غير شحناء ولا بغضاء ولا تعصب للرأي، فيكون جدالًا محمودًا (جدال بالتي هي أحسن) من أجل أن نصل إلى نتيجة علمية لم

تكن معروفة لأحد الطرفين، ولا يكون المقصود هو الانتصار للنفس أو التقليل من شأن الطرف الثاني لأن هذه الأمور إذا تخللت المناقشات فإنها لا تأتي بخير، والناظر في هذه المناقشة يجد أنها مُفتقدة لحسن نية والصدق وسلامة السريرة وحسن القصد منذ البداية.

أما إذا كان كل واحد من الطرفين لديه علم ويريد أن يوصله إلى الطرف الآخر على الوجه الذي يُرضي الله وهما على درجة واحدة فإن هذا يجوز.

أما المماراة مع الشيخ: فإن أمرها يكون مختلف تمامًا حتى لو كان الطالب أعلى منزلةً من الشيخ في العلم، فقد يكون لدى الطالب علم في جزئية معينة ليس لدى الشيخ إلمام بها وهذا وارد، شيخ لديه علم غزير في الفقه والحديث وكذا وكذا ولكنه لا يعلم الكثير عن علم النحو فيذهب إلى شخص لديه إلمام بهذا العلم فيكون الطالب شيخ لهذا العالم في هذه الجزئية.

٢- مُعاناة موسى وسفره وصبره على طلب العلم مع محله الذي أعطاه الله إياه من شرف النبوة والمكانة والمنزلة الرفيعة والدرجة العالية.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ فِيمَا عَانَاهُ مُوسَى مِنَ الدَّأَبِ وَالسَّفَرِ وَصَبَرَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ لِلْخِضْرِ بَعْدَ مُعَانَاةِ قَصْدِهِ مَعَ مَحَلِّ مُوسَى مِنَ اللَّهِ ، وَمَوْضِعِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، وَشَرَفِ نُبُوَّتِهِ دَلالَةٌ عَلَى ارْتِفَاعِ قَدْرِ الْعِلْمِ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَةِ أَهْلِهِ ، وَحُسْنِ التَّوَاضُعِ لِمَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ ، وَيُؤْخَذُ عَنْهُ ، وَلَوِ

ارْتَفَعَ عَنِ التَّوَاضُعِ لِمَخْلُوقٍ أَحَدٌ بِارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ ، وَسُمُوِّ مَنْزِلَةٍ لَسَبَقَ إِلَى ذَلِكَ مُوسَى ، فَلَمَّا أَظْهَرَ الْجِدَّ وَالاجْتِهَادَ ، وَالانْزِعَاجَ عَنِ الْوَطَنِ، وَالْحِرْصَ عَنِ الاسْتِفَادَةِ مَعَ الاعْتِرَافِ بِالْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا هُوَ غَائِبٌ عَنْهُ ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَلْقِ مَنْ يَعْلُو عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَلا يَكْبُرُ عَنْهَا ، وَقَدْ رَحَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ إِلَى الْبِلادِ الْبَعِيدَةِ ، وَعِدَّةٌ مِنَ التَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ نَحْنُ نُورِدُ أَخْبَارَهُمُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَيْنَا ذَلِكَ عَنْهُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ.

كل هذا يُبين إلى أي مدى يجب أن يتواضع الإنسان في طلب العلم، لأنه لو كان يَحِق لشخص أن يترفع عن هذا التواضع ويتحدث باستعلاء لكان موسى عليه السلام أولى الناس بهذا فهو كليم الله ومن أولي العزم من الرسل ومع ذلك فسنرى كيف كان يتعامل مع معلمه، قد كان يتعامل في منتهى الأدب.

في حين أننا نرى أن حال الكثير من طلاب العلم اليوم على النقيض من ذلك، فالكثير يفتقد آداب طالب العلم التي يجب أن يتعامل بمقتضاها مع معلمه وهذا سبب هو ذهاب بركة العلم وشؤم على الطالب لأنه ابتداءً لم يتأدب بآداب طالب العلم، وكل مَن تعدى الأدب مع معلمه فإن هذا سوف يذهب ببركة العلم.

أهمية قصة موسى عليه السلام:

* ذكر الله عز وجل قصة موسى عليه السلام مع الخضر في القرآن.
* كما أن النبي ﷺ قد ذكرها في أحاديث كثيرة جدًا.
* وأوردها البخاري في ثلاثة عشر موضع في الصحيح.
* واستنبط العلماء منها أكثر من مائتي فائدة.

أليس في هذا كله بيان لأهمية الأدب في طلب العلم!

فكل هذه الآداب لم يضعها العلماء بأنفسهم ولكن الله عز وجل ذكرها في القرآن وذكرها النبي ﷺ في السنة، إذن المسألة ليست اجتهاد عالم يمكن الأخذ بها أو تركها بل هي تشريع (الأدب مع المعلم).

فلننظر لمدى حرص موسى عليه السلام على هذه الاستفادة مع سمو مكانة موسى.

قال ابن جريج: لقد استخرجت ما عند عطاء من العلم بالرفق وقد لازمه عشرين سنة.

وقال أيضًا: استخرجت من رباح بن أبي عطاء ما لم تستخرج به الحية من جحرها (بالأدب).

من الآداب المستنبطة من القصة:

١- الْحِرْصَ عَنِ الاسْتِفَادَةِ مَعَ الاعْتِرَافِ بِالْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا هُوَ غَائِبٌ عَنْهُ، دَلَّ عَلَى أَنَّهَ لَيْسَ فِي الْخَلْقِ مَنْ يَعْلُو عَلَى هَذِهِ الْحَال، وَلا يَكْبُرُ عَنْهَا.

بعض أهل العلم قالوا: حرص موسى الشديد جدًا على الاستفادة يدل على ضرورة أن يكون لدى طالب العلم هذا الحرص الشديد على الاستفادة من العلم ومن الشيخ مع الاعتراف بالحاجة، فلا يأتي للطلب على وجه الاستعلاء أو الاستغناء أو أنه هو والعالم أقران(الندية) لأن هذا نوع من الكبر وهو دليل حرمان كما قال العلماء، بل عليه أن يتواضع لأنه مهما بلغ ما عنده من علم فلابد من وجود مَن هو أعلم منه لأن العلم لا نهاية له.

من الفوائد أيضًا،

٢- فضيلة العلم والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور ، كما فعل موسى.

لأن موسى عليه السلام سافر مسافة طويلة وبعيدة جدًا، ولقي من النصب والتعب الكثير فقد كانت حياتهم شاقة جدًا، وقد ترك القعود في مكانه لتعليم بني إسرائيل، فهو نبيهم وقد كان من المفروض أن يظل معهم لتعليمهم أحكام الشريعة، لكنه امتثل لأمر الله عز وجل وغادر مكانه لكي يذهب إلى مَنْ يأخذ عنه العلم.

ومن هذا نستفيد أن الأمور تتفاوت في مدى أهميتها وبالتالي ينبغي أن نُقدِم الأهم على المهم.

فزيادة العلم أمر هام جدًا و تعليم الناس أيضًا أمرًا هامًا فأيهما يُقدم على الآخر؟ زيادة العلم أهم وبالتالي فيجب أن يُقدم على غيره من الأمور، فإن استطاع الشخص أن يزداد من العلم ويُعلِّم في نفس الوقت فعليه أن يفعل شرط أن يكون لديه قدر من العلم يمكن أن يتصدر به، أما إذا كان هناك تعارض بين الأمرين فعليه أن يذهب ليتعلم أولًا وبعد ذلك يأتي ليُعلم الناس.

لقد ترك موسى عليه السلام قومه رغم أنه هو المسئول عن تعليمهم وكان من الممكن يقول اللهم علمني وأنا في مكاني حتى لا يترك بني إسرائيل، ولكنه لم يعترض على أمر الله وذهب حيث أمره وتحمَّل التعب والمشقة وتعامل مع الخضر بمنتهى الأدب حتى يصل إلى العلم لأنه يعلم أن أعظم ما يُنال في هذه الدنيا هو العلم فبه يُرفع العبد الدرجات.

قال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهَدْيَ كما يتعلمون العلم.

قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله : (طلبت الأدب ثلاثين سنة ، وطلبت العلم عشرين سنة ، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم) **غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١٩٨.**

وقال: (كاد الأدب يكون ثلثي العلم) **ابن الجوزي : صفة الصفوة ١٤٥/٤.**

ويقول بعض السلف: نحن إلى قليل من الأدَب أحوجُ منا إلى كثيرٍ من العلم **انظر: مدارج السالكين (٣٧٦/٢.**

ويقول عبد الله بن وهب رحمه الله: ما تعلَّمنا من أدبِ مالكٍ أكثرُ مما تعلّمنا من علمه**(سير أعلام النبلاء).**

وفي الزهد لابن المبارك: عن الحسن البصري: (كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشّعه وهديه ولسانه ويده).

وقال أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري: (كانوا لا يخرجون أبناءهم لطلب العلم حتى يتأدبوا ويتعبدوا عشرين سنة).

وعن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبري قال: (علم بلا أدب كنار بلا حطب ، وأدب بلا علم كجسم بلا روح).

وعن عيسى بن حمادة زغبة قال: سمعت الليث بن سعد يقول (وقد أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئا فقال :ما هذا ؟ أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم.

وقال سفيان بن عيينة، نظر عبيد الله بن عمر: إلى أصحاب الحديث و زحامهم فقال (شنتم العلم وذهبتم بنوره، لو أدركنا وإياكم عمر بن الحطاب لأوجعنا ضربا).

وعن محمد بن عيسى الزجاج قال: (سمعت أبا عاصم يقول: من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدنيا، فيجب أن يكون خير الناس).

وقال الحسن: إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين

تذكرة السامع والمتكلم.

(يقصد: أن الشخص كان يذهب ليطلب الأدب قبل أن يطلب العلم فيكون في ذلك السنتين تلو السنتين) وهل يحتاج الأدب في تعلمه إلى كل هذه المدة؟ بالطبع لا.

ولكن مَن كان يطلب الأدب كان يبحث في حاله ليرى هل هو بالفعل يتعامل بما تعلمه من أدب أم لا ؟ فإذا لم يجد من نفسه هذا الأدب فإنه كان يأخذ عامين آخرين ويظل هكذا إلى أن يتأكد أنه قد تحلى بالآداب الخاصة بطالب العلم وبعد ذلك يسعى في طلب العلم، وإذا تحلى بالأدب فإنه ينطلق إلى الأدب الذي بعده. من هنا جاءت البركة وتلك كانت أحوالهم.

قال تعالى: **{ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦)}**[الكهف].

* **هَلْ أَتَّبِعُكَ:** هذا هو الأدب والتَّلطُف والمُلاطفة والمشاورة، فهو أحد أولي العزم من الرسل_الكليم ومع ذلك يتكلم بهذه الطريقة لأنه يعرف أنه يطلب أعظم الأشياء وغيره يمتلك هذا العلم، هذا هو الأدب الذي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به في تعامله مع شيخه ومعلمه

جاء السؤال من موسى للخضر عليهما السلام فحمل معنى الاستئذان حيث قال: هل أتبعك؟

* **تُعلمني:** وهنا نرى أنه مازال يُبين أنه هو الأدنى والأقل والمُحتاج إلى أن يتعلم.

*** ثم قال مما علمت رشدًا:** وهنا أضاف إليه الرشد وأثبته له، فقصد بذلك أن كل ما عند الخضر من علم هو خير ليس فيه شر، وبالتالي فإنه يُزكي علم الخضر ويُبين مكانته ويتلطف إليه ويمتدحه، كل هذا جاء مقدمة لطلبه في أخذ العلم عنه.

قال أهل العلم: التأدب مع المعلم وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب ، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكِبر الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه ، فالذل للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم.

٣- تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه.

فموسى بلا شك أفضل من الخضر ، فعلى هذا لا ينبغي للفقيه المحدث إذا كان قاصرا في أحد العلوم أن لا يتعلمه ممن مهر فيه وإن لم يكن محدثا ولا فقيها.

وهذه الجزئية سبق لنا أن بيَّناها، فقد يكون هناك فقيهًا عالمًا (الفقه_التفسير _العقيدة_الحديث) ولكنه ليس مُلِمًا بعلم النحو(مثلًا) فذهب إلى مَن هو على دراية بهذا العلم ليتعلم على يديه، هنا ينبغي على هذا العالم أن يتواضع ويتأدب ويتلطف وكأن مُعلِّم النحو هذا هو أفضل ممن ذهب إليه ليتلقى عنه مع أن العالم الفقيه هو الأفضل لما يحمله من علم إذا كان عالم النحو لا يُجيد إلا هذا العلم، فطالب العلم هو الأدنى ومعلمه هو الأعلى وإن كانت منزلته على الحقيقة هو الأعلى لأنه ذهب ليطلب هذا العلم.

٤- أن لا يأنف الإنسان أو يستنكف إذا كان لديه نقص في علم مُعين أن يطلبه.

٥- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى.

والإقرار بها وشكره عليها.

٦- أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير.

وما سوى ذلك فإما أن يكون ضارا أو ليس فيه فائدة، وهذا يعني أن أي علم لا يقود إلى الخير والعلو والازدياد في الأعمال والإيمان والخُلق فإنه علمٌ غير نافع.

العلم النافع يقود إلى الارتقاء في أعمال القلوب وأعمال الجوارح:

تطهير القلب من الأمراض التي تسكن فيه هذا فيما يخص الباطن، أما في الظاهر: فيتمثل في الإجابة على هذه الأسئلة :هل هذا العلم جعل صاحبه يتأدب في تعامله مع الناس ومع الأقارب. (الزوج_الزوجة_الوالدين) والجيران ومع المعلم ولو بنسبة قليلة؟ هل هو عند المحرمات يتراجع ولا يقع فيها؟ وهل هو عند الواجبات يُسارع إلى الامتثال؟ فإذا كان كذلك فإن هذا يُسمى بالعلم النافع الذي يكمن فيه الرشد والبركة وليُبشر صاحب هذا العلم لأن في هذا علامة خير فقد كانت النية منذ البداية خالصة لله عز وجل، فكل مَن تأدب بالعلم والتزم بآدابه وتم له صلاح حاله في الظاهر

والباطن فليُبشر لأن هذا دليل إخلاص في طلب العلم، والعكس فإذا لم يُصلح العلم صاحبه لا ظاهرًا ولا باطنًا وليس هناك أي إضافة في حياة صاحبه فليعلم أن النية لم تكن طيبة، بل كان الأمر مجرد ثقافة علمية أو محاولة لإزالة الجهل عن نفسه أو شهوة علم أو غير ذلك من النوايا التي ليست لله عز وجل.

من الصور المُشرِفة لطلب العلم:

- بَقِيُّ بنُ مَخْلَدِ بنِ يَزِيْدَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْدَلُسِيُّ:

الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، الحَافِظُ، صَاحِبُ (التَّفْسِيْرِ) وَ(المُسْنَدِ) اللَّذَيْنِ لاَ نَظِيْرَ لَهُمَا.وُلِدَ: فِي حُدُوْدِ سَنَةِ مائَتَيْنِ، أَوْ قَبْلَهَا بِقَلِيْلٍ، وتُوُفِّيَ: لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ.

بقي بن مخلد هو صاحب أكبر مسند عرفه التاريخ الإسلامي، ومن المعروف أنه صاحب أعظم رحلة قام بها إنسان مسلم فلماذا ؟

قام بقي بن مخلد القرطبي الأندلسي برحلتين إلى مصر والشام والحجاز وبغداد طلباً للعلم ، أمتدت الرحلة الأولى أربعة عشر عاماً ، والثانية عشرين عاماً، ولقد كان ارتحاله كله من الأندلس وعلى قدميه.

لقد رحل هذا الإمام من بلده قرطبة الأندلس(أسبانيا) طالبًا للعلم فَحَمَلَ عَنْ أَهْلِ الحَرَمَيْنِ، ومِصْرَ، وَالشَّامِ، وَالجَزِيْرَةِ، وَخُلْوَانَ، وَالبَصْرَةِ، وَالكُوْفَةِ، وَوَاسِطَ، وبَغْدَادَ وَعَدَنَ وَالقَيْرَوَانَ – قُلْتُ: وَمَا دَخَلَ الرَّجُلُ إِلَى اليَمَنِ، كَانَ بَقِيٌّ طُوَالاً أَقْنَى، ذَا لِحْيَةٍ مُضَبَّراً قَوِيّاً جَلْداً عَلَى المَشِي، لَمْ يُرَ رَاكِباً دَابَّةً قَطُّ.

فعل ذلك من أجل أن يجمع أحاديث رسول الله ﷺ في كتاب (مسند)فقام بعمل أكبر مسند عرفه التاريخ وقد استغرقت هذه الرحلة من عمره أربعة وثلاثين عامًا ماشيًا على قدميه، فلم يركب دابة في رحلته هذه مُطلقًا، هذا البذل والعطاء والإخلاص في السير على الطريق أوصله إلى أعلى الدرجات، وهذا الذي فعله يُسمى (الجلد في طلب العلم).

أَلَّفَ أَبُو عَبْدِ المَلِكِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ القُرْطُبِيُّ، المَيِّتُ فِي عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَثَلاَثِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ كِتَاباً فِي أَخْبَارِ عُلَمَاءِ قُرْطُبَةَ، ذَكَرَ فِيْهِ بَقِيَّ بنَ مَخْلَدٍ، فَقَالَ: كَانَ فَاضِلاً تَقِيّاً، صَوَّاماً قَوَّاماً مُتَبَتِّلاً، مُنْقَطِعَ القَرِيْنِ فِي عَصْرِهِ، مُنْفَرِداً عَنِ النَّظِيْرِ فِي مِصْرِهِ.

– **صَوَّاماً قَوَّاماً:** لا يمكن أبدًا لطالب العلم أن يتخلى عن الصيام والقيام

***التبتُل هو:** هو الانقطاع إلى الله تعالى مع إخلاص العبادة له بعد قضاء ما يحتاجه الإنسان.

ـ **مُنْقَطِعَ القَرِيْنِ فِي عَصْرِهِ:** ليس له مثيل ولا نظير ولا يُضاهيه أحد

ـ **مُنْفَرِداً عَنِ النَّظِيْرِ فِي مِصْرِهِ:** والأمصار تعني البلاد، والسبب في ذلك يرجع إلى حرصه الشديد في طلب العلم.

إذن لابد من قوة في الصبر ويقين وإخلاص لله وتجديد النية المستمر حتى يصل طالب العلم إلى حسن الثبات في الأمر، لأن الثبات في الأمر ليس سهلًا، فيُمكن أن يكون علو الهمة في بداية أمر الطلب ثم بعد ذلك يبدأ في السقوط، وهذا ما نراه شيئًا ملموسًا في المجالس، لابد من حسن الثبات في الأمر أي في طلب العلم لأنه سيفوته الكثير جدًا بحسب قلة الصبر، فكلما زاد الصبر في طلبه كلما نال منه الكثير، وكلما قل الصبر كلما انقضى العمر من غير أن يصل إلى أي شيء.

لماذا قال الخضر لموسى عليهما السلام { قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)}[الكهف]؟

وهل نفى الخضر عليه السلام الصبر عن موسى عليه السلام ؟

نفي الصبر عن موسى أمر مستحيل لأن الصبر صفة من صفات الكمال البشري وأولى الناس بها موسى عليه السلام، انعدام الصبر صفة نقص، فالمؤمن العادي لابد أن يتحلى بالصبر فكيف برسول هو من أولي العزم من الرسل، الأولى به أن يكون أعلى صبرًا من غيره من الناس، فلماذا قال الخضر هذا؟ لقد ذكر علة ذلك بعد هذه المقولة مباشرةً فقال: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)}[الكهف].

فعندما قال له إنك لن تستطيع الصبر لم يترك الأمر من غير أن يذكر العلة من ذلك ولكنه أخبره بعلة تعذر الصبر على المسير معه وما سيلاقونه من أحداث.

وهذه جزئية مهمة: ولذلك فإن الشيخ أو العالم إذا أراد أن يُوصِل للشخص معلومة ويريده أن يعمل بها فينبغي عليه أن يُوضح له العلة منها، لأنه لو لم يعلم ويفهم فإنه لن يمتثِل للأمر.

فالخضر كان يعلم بأمر الله عز وجل (خرق السفينة_قتل الغلام_بناء الجدار) وهي أفعال كلها في ظاهرها أنها بشعة منكرة لن يتقبلها موسى عليه السلام لأنه لم يكن ليرى المنكر ويصمت عليه ويتركه.

قال له لن تصبر على أن ترى منكرًا ولن تمنع نفسك من أن تُماريني أو تُجادلني بسبب قيامي بهذا الفعل، بالرغم من أنك تعلم أنني أفعل ما أفعله بأمر الله سبحانه **{ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي}**.

ولنا هنا مع آيات الله وقفة:

قال تعالى:**{ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)}**[الكهف]

وهذا هو سبب ضياع أهل الدنيا فماذا يعني هذا؟

أهل الدنيا لا يعلمون شيئًا عن (الآخرة_القرآن_عظمة الله_الأسماء الحسنى والصفات العلى_من هو الله على الحقيقة_النبي ﷺ) إلا قشور القشور فضلًا عن أن يعرفوا الشريعة نفسها وإذا ما علموا منها شيء

فإنها أيضًا تكون قشور القشور وهذا بدوره أدى إلى ضياع الأمة كما نرى، لأن الإنسان إذا لم يكن عالمًا بقيمة الشيء وقيمة ما ورائه فإنه مستحيل عليه أن يصبر عليه كي يناله.

فحتى نصبر على الدنيا ونصبر عن المعاصي ونصبر على الطاعة وعلى أوامر الله ونمتثل للسنة والإتباع فأننا نحتاج إلى أن يكون لدينا إحاطة بأمر الشريعة وفهم عن الله وعن رسوله ﷺ، وانعدام هذه الإحاطة وهذا الفهم أدى إلى أن غالبية المسلمين يلهثون في الشوارع، والكل يستعجل الشهوات العاجلة، فنرى الكثير يُعرض عن كتاب الله وعن أي كتاب يحمل سنة رسول الله ﷺ، في حين أنه يشتري لهو الدنيا والحديث عنها في كل وقت وحين، فما هو السبب؟ هؤلاء لم يُحيطوا بالأمر خُبرًا، إذن العلة تكمن في الجهل.

فمن أين يأتي الصبر؟ يأتي الصبر من الإيمان والمعرفة وينعدم بانعدامهما.

فحين يعلو الإيمان ويزداد الفهم والعلم بأمور الدين فإن صاحب هذه الأشياء يصبر(يصبر عند المعصية لأنه يحسب حساب لعاقبة أمرها_وكذا عند ترك الطاعة ماذا سيكون عاقبة الأمر) فيكون الفهم والعلم والمعرفة سد ومانع يحجب صاحبه من السقوط فيما يُغضِب الله سبحانه، إلى جانب الإيمان والاستمرار في الأعمال فإن الإيمان يعلو بالعلم والعمل بهذا العلم

فإذا كان حال العبد هكذا فإن الشهوات تُعرض عليه فلا تُحرِّك له ساكنًا لأنه قابض على دينه، فما الذي جعله قابض على دينه وغيره يتقلَّب في المعاصي والذنوب؟ الإيمان والعلم الذي يمتلكهما فإذا ما زاد العلم والإيمان زادت الطاعة والإقبال على الله عز وجل والقُرب منه وزاد البُعد عن المعصية.

من الصور المُشرِفة التي تُبين تَحَمُّل المشقة في طلب العلم وكيف أن الإنسان يمكن أن يطلب شيء ويتعب فيه والفائدة المحصلة قليلة:

يقول البخاري: وَرَحَلَ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، إِلَى عَبدِ اللهِ بنِ أُنَيسٍ، فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

وهذا يعني: أنه سافر في الصحراء مسيرة شهر بما في ذلك من مشاق وتعب وعنت، لأن السفر ليس أمرًا سهلًا بل أنه قطعة من العذاب، ولكنه كان يتحمل كل ذلك من أجل أن يسمع حديثًا، فهل يتناسب كل هذا العنت والتعب مع ما عاد عليه من فائدة (حديث واحد يُعادل شهر سفر).

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ [ص:٤٣٢] عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا** " قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: " **لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ** " قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ **عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟** قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**» **مسند أحمد(١٦٠٤٢).**

نقاط الحديث:

١- رحلة طالب العلم لمدة شهر طلبًا للحديث وفي هذا بيان لأهمية العلم.

٢- " **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا** ".

***غرلًا:** غير مختونين، ***بُهْمًا:** ليس معهم شيء كما ولدتهم أمهاتهم يقفون بين يدي ربهم للحساب

* **يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ:** فيها إثبات لصفة الكلام لله عز وجل، وقد أنكرها بعض أهل البدع.

قال ابن الجوزي رحمه الله:

تأملت عجبًا.وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه .ويكثر التعب في تحصيله .فإن العلم لما كان أشرف الأشياء .لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار.وهجر اللذات والراحة. حتى قال بعض الفقهاء:بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس.

وهذا أمر مُشاهد وواقع عملي فأي إنسان يريد أن ينال شيء نفيس عظيم الشأن نراه يستغرق في ذلك الوقت والجهد والمال، هذا فيما يخص أمور الدنيا(شهادة_مال_بيت جميل _منزلة عالية).

أما أعظم شيء في الدنيا وهو العلم فإنه يحتاج تعب وجهد أضعاف أضعاف هذا الكم.

فهل بذل أحد من أهل العلم اليوم الجهد الذي بذله من أجل الدنيا؟

مَن بذل جهدًا في طلب العلم مثلما بذل من أجل الدنيا وأكثر فإنه يصل ومن لم يبذل فلن يصل هكذا تكون المُعادلة، وقد عَلِم ابن الجوزي هذه الحقيقة، فقال: أن هذا الأمر لن يَخْلُصْ لصاحبه إلا بالتعب والسهر

والتكرار وترك اللذات والراحة (وهذه هي أكثر جزئية تُعيق طالب العالم).

وقال الرازي: وسمعت علي بن أحمد الخوارزمي يقول : سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: كنا بمصر سبعة أشهر ، لم نأكل فيها مرقة ، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ ، وبالليل : النسخ والمقابلة . قال : فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا ، فقالوا : هو عليل ، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا ، فاشتريناه ، فلما صرنا إلى البيت ، حضر وقت مجلس ، فلم يمكنا إصلاحه ، ومضينا إلى المجلس ، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام ، وكاد أن يتغير ، فأكلناه نيئا ، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه . ثم قال : لا يستطاع العلم براحة الجسد. (سير أعلام النبلاء).

– حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «**لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ**»أخرجه مسلم(٦١٢).

انتقل الإمام بعد ذلك إلى باب

بَابُ فَضلِ مَن عَلِمَ وَعَلَمَ

*_عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتِ المَاءَ، قَاعٌ يَعْلُوهُ المَاءُ، وَالصَّفْصَفُ المُسْتَوِي مِنَ الأَرْضِ" أخرجه البخاري(٧٩).

(الغيث) المطر الذي يأتي عند الاحتياج إليه، (نقية) طيبة. (الكلأ) نبات الأرض رطبا كان أم يابسا. (العشب) النبات الرطب. (أجادب) جمع أجدب وهي الأرض التي لا تشرب الماء ولا تنبت. (قيعان) جمع قاع وهي الأرض المستوية الملساء. (فذلك) أي النوع الأول. (فقه) صار فقيها بفهمه شرع الله عز وجل. (من لم يرفع بذلك رأسا) كناية عن شدة الكبر والأنفة عن العلم والتعلم. (قيلت الماء) شربته.

(قاع الصفصف): المستوي من الأرض والقاع الصفصف واردان في قوله تعالى: {فيذرها قاعا صفصفا}[طه ١٠٦].

ترجمة أبي موسى الأشعري:

هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، الإمام الكبير، صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ.

– عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**». وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**». فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**» قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى. **أخرجه البخاري(٤٣٢٣)، أخرجه مسلم(٢٤٩٨).**

قال الإمام الذهبي: كان أبو موسى صَوَّاماً قوَّاماً ربَّانياً زاهداً عابداً، ممن جمع العلم والعمل، والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة ولا اغتر بالدنيا.

ترك الدنيا لأهلها لأنه علم أن شأنها حقير وكل ما فيها زائل، ويكفيه أنه صاحب رسول الله ﷺ ويكفيه أيضًا دعوة رسول الله ﷺ له.

– عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى: «**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»**أخرجه مسلم(٧٩٣).**

لقد زكَّا النبي ﷺ صوته رضي الله عنه فقال : أوتيت مزمارًا أي صوتًا حسنًا.

قسَّم الحديثُ الناسَ إلى ثلاثة أصناف:

١- مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ.

يُمثِّل النبي ﷺ بعثته وما جاء به من الهدى والنور والهداية والقرآن لهداية الأمة بالمطر الشديد الذي أصاب أرض وكانت هذه الأرض خصبة فأنبتت النبات الرطب واليابس، وأنبتت العشب (الرطب فقط)، فاستفادت الأرض من الماء حيث أنها شربت وأنبتت وأخرجت الزرع فاستفاد الناس منها.

_هذا هو الصنف الأول من الناس: الذين سمعوا كلام النبي ﷺ وما جاء به من الهدى ففهموا واستجابوا واستفادوا بما قال وما أمر به فعلموا ثم علَّموا.

_ولهذا بوب الإمام هذا الباب وجعله عنوان (من عَلِمَ وعلَّمْ) ومن يفعل ذلك فإنه يكون مصباح الهدى (عَلِمَ العلم _ ووعاه _ فهم عن رسول ﷺ _ابتعد عن البدعة_اتبع السنة_ثم خرج للناس ليُعلمهم) فكان بذلك أفضلهم.

٢- وكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا.

*أجادب: الأرض الصلبة.

النوع الثاني أمسك الماء ولكنها أرض ليست خصبة فلم تستفد الاستفادة الكاملة، مثل الشخص الذي يحفظ المتون والأحاديث وينقل للناس ولكن استفادته هو من الكلام قليلة.

٣- وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً.

*قيعان: الأرض المستوية.

ولذلك فإنها كلما صُبَّ عليها الماء فإنها لا تُصيب منه شيء وبالتالي فهي لا تُنبت عُشبًا ولا تُمسك ماءً، وهذا مثله مثل مَنْ يسمع ولا يعي.

القارئ لحديث رسول ﷺ من غير إمعان يجد أنه قسَّم الناس إلى صنفين:

١- نوع انتفع بالهدى، ٢- نوع لم يرفع رأسًا ولم يقبل الهدى.

ولكن بإمعان النظر نجد أنهم ثلاثة أصناف :

١- فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ.

ولكن عَلِمَ وَعَلَّمَ : هذان صنفان.

الأول: الأعلى وهم المُقربون إلى الله (الصفوة) تعلموا وفهموا وعلموا الناس وكان بالإخلاص لله.

الثاني: مَنْ يتعلمون كثيرًا ولكن لا دافع لهم من وراء ذلك سوى التبليغ وليس العمل، هذا النوع يستفيد ولكن ليس الكثير.

هذا النوع لا نستطيع أن نصفه أنه سيء ولكنه لا يستوي مع النوع الأول في المنزلة.

الثالث: قيعان لا تُمسك ماء ولا تنبت كلأ، فلا سمع الوحي ولا استفاد منه وهو شر الناس(لا يستفيد بالموعظة ولا يسمع لها ومهما قيل له لا يُنصت ولا يُبلِّغ بل على العكس يمكن أن يكون من الذين يُحاربون الله ورسوله).

يقول ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ :

جعلَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ الناسَ بِالنسبةِ إلى الهُدىَ وَالْعِلْمِ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ:

الطبقةُ الأولى: ورثةُ الرسلِ وخلفاءُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، وهمُ الذينَ قاموا بالدِّينِ عِلمًا وعَملاً ودعوةً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ورسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فهؤلاءِ أتباعُ الرَسُولِ ــ صلَواتُ اللهِ عليه وسلامُهُ ــ حقًّا، وهُمْ بِمَنزلةِ الطائفةِ الطَّيِّبَةِ منَ الأرضِ الَّتِي زَكَتْ، فقَبِلَتِ الماءَ، فأنبتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ، فزَكَتْ في نفسِها، وزكا الناسُ بها.

وهؤلاءِ همُ الذينَ جمَعُوا بينَ البصيرةِ في الدِّينِ والقوَّةِ على الدعوةِ (الدعاة المخلصين الذين يدعون إلى ربهم ويعملون بما يدعون الناس إليه ابتغاء وجه الله)، ولذلكَ كانوا ورثةَ الأنبياءِ صلى اللهُ عليهم وسلَّم فهذا الفَهمُ هو بمنزلةِ الكَلأِ والعُشْبِ الكثيرِ الذي أنبتَتْهُ الأرضُ، وهو الذي تميَّزَتْ به الطبقةُ الأولى عنِ الطبقة الثانية، وعلامة هؤلاء هي القوة في الدين والحق والدعوة فلا يخافون في الله لومة لائم، فإذا ما جلس أحدهم

في مجلس ورأى مَنْ فيه مُقيمين على منكر فإنه يصدع بكلمة الحق ولا يخشى في ذلك أحد.

وهم الذين قال الله فيهم:{ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)} [ص] أي البصيرة في الدين،

*الأيدي: تعني القوة.

هؤلاء حقيقٌ لهم أن يكونوا على وجل وخوف عظيم جدًا لأن من يصل إلى هذه المكانة فهو على خطر عظيم لأنه ينبغي أن يخشى أن لا يظل على هذه المكانة، فينقلب الحال به، ولقد خاف إبراهيم عليه السلام فقال:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)}[إبراهيم].

قال الحسن البصري: إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى.

هؤلاء القوم كانوا يخافون على قلوبهم، فكلما ازداد الإنسان علمًا ودعوة وبلاغًا وعمل كلما ازداد خوفًا وإن لم يزدد الخوف مع ازدياد هذه الأشياء فإن هذا يكون دليل على وجود خلل، لابد أن يكون الإنسان دائمًا على وجل فيرجو رحمة الله ويخاف من عذابه.

الطبقةِ الثانيةِ: فإنها حفظَتِ النُّصوصَ، وكان هَمُّها حفظَها وضبطَها، فورَدَها الناسُ وتلقَّوْهَا منهم، فاستَنْبَطوا منها، واستخرجوا كنوزَها،

واتَّجرُوا فيها، وبذَرُوها في أرضٍ قابلةٍ للزرعِ والنباتِ، ووردَهَا كُلٌّ بَحسَبِهِ { قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ }[البقرة].

وهؤلاءِ همُ الذينَ قال فيهم النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: {نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ}.

وهذا عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ حَبْرُ الأُمَّةِ وتَرْجُمَانُ القرآنِ؛ مقدارُ ما سمِعَ منَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يبلغْ نحوَ العِشرينَ حديثًا الذي يقولُ فيه: «سمعتُ» و«رأيتُ»، وسمعَ الكثيرُ من الصحابةِ، وبُورِكَ في فهمِهِ والاستنباط منه حتى ملأَ الدنيا عِلماً وفقهاً.

وأينَ تقعُ فتاوى ابنِ عباسٍ، وتفسيرُهُ، واستنباطُهُ، من فتاوى أبي هُرَيْرَةَ وتفسيرُهُ؟! وأبو هُرَيْرَةَ أحفظُ منهُ، بلْ هوَ حافظُ الأمةِ على الإطلاقِ، يؤدي الحديثَ كما سمِعَه، ويدرُسُه باللَّيلِ درسًا، فكانت هِمَّتُه مصروفةً إلى الحفظِ، وتبليغ ما حَفِظَهُ كما سمعَه، وهِمَّةُ ابنِ عباسٍ مصروفةٌ إلى التَّفَقُّهِ والاستنباطِ، وتفجيرِ النصوصِ، وشقِّ الأنهارِ منها، واستخراجِ كُنُوزِها.

وهكذا الناسُ بعدَه قسمانِ:

قِسمٌ حُفَّاظٌ مُعْتَنُونَ بِالضَّبْطِ، والحفظِ، والأداءِ، كما سمعوا، ولا يستنبطونَ ولا يَستخرجونَ كنوزَ ما حفِظُوهُ.

وقِسمٌ مُعْتَنُونَ بالاستنباطِ واستخراجِ الأحكامِ منَ النصوصِ، والتَّفَقُّهِ فيها.

نكتفي بهذا القدر سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك